بسم الله الرحمن الرحيم
Asharq Al-Awsat
The international daily newspaper of the Arabs
الشرق الأوسط
جريدة العرب الدولية
ondon - Wednesday, 12 May 1982 - Vol. 4 - No. 1261
الاربعاء ١٢/٥/١٩٨٢م الموافق ١٩ رجب ١٤٠٢هـ ـ السنة الرابعة ـ العدد ١٢٦١
البريد

رسالة اليوم

من : منذر الأسعد ـ الرياض

رد على الشيخ أحمد جمال

في العدد ذي الرقم ١٢٤٩ من جريدة الشرق الأوسط ، الصادر يوم الجمعة ١٤٠٢/٧/٧هـ و ١٩٨٢/٤/٣٠ ، طلع على القراء الأستاذ احمد محمد جمال ، بمقالة هاجم فيها كل من دافع عن قتلة الرئيس المصري الراحل انور السادات .. ووصف هؤلاء بأنهم جماعات وهيئات «تسمي نفسها إسلامية» وبأنهم دعاة سوء ومشيعو فتنة ، وبأنهم فئات مضللة (أنا أقول بفتح اللام حسبما فهمت) بعلماء السوء

وكل ما اثار حفيظة الشيخ نبأ نقلته جريدة الشرق الاوسط ، لخصت فيه بيانا اصدره المجلس الاسلامي الاوربي في لندن ، يطالب فيه بأن لا يعدم قتلة السادات . وإذا كان الشيء بالشيء يذكر ، فلعل القارىء الكريم ، لم ينس الحرب الضروس التي شنها الشيخ جمال من قبل ، على كل مخالفي السادات ، حيث طالب الشيخ بأن نذكر محاسنه (السادات) على أنه من موتى المسلمين . ونظرا لما حملته مقالة الشيخ ، فانني أجتهد هنا في تفنيدها ، احتسابا لمرضاة الله ، وحرصا على أن لا تروج الاباطيل :

١ ـ بادىء ذي بدء ، أؤكد انني ممن يتألمون لظاهرة التكفير الجزائي ، وإن لم يكن هنا موضع الرد عليها تفصيلا .. إلا أن الغريب في الامر ، أن الشيخ الذي يأخذ على خصومه (وخصوم السادات) أنهم يكفرون مخالفيهم ، يقع هو في المطب ذاته .. حيث يخرج أصحاب البيان المذكور ومن شاكلهم من دائرة الاسلام ، أما حينما يصل إلى السادات فانه يقول : «أما أنا فلا أكفر مسلما يشهد الا إله إلا الله وان محمدا رسول الله ويقيم الصلاة ويصوم رمضان ..» .

وكأن من أصدروا البيان غير ملتزمين بأركان الاسلام . كما يفهم من كلام الأستاذ ؟ ..

٢ ـ يشير الأستاذ إلى أن من يحكم بكفر الحاكم : هيئات دينية علمية نزيهة !! . والسؤال الذي يطرح نفسه في هذا المقام هو : اين هذه الهيئات التي يحدثنا عنها الشيخ ! هل هي تلك التي طلبت لموالاة اليهود واستقبلت سفاحيهم ؟ .. اين تلك الهيئات وكل من خالف «المرحوم» صار كما قال عنه نفسه «مرميا زي الكلب في السجن» !! ثم كيف تتبدل الفتوى الشرعية وتصبح غير شرعية ـ حسب الأهواء ـ بين عام ١٩٥٨م وبين ١٩٧٧ ؟ .. إن علماء الازهر افتوا في عام ١٩٥٨ بتكفير من يصالح الكيان اليهودي في فلسطين المحتلة .. أفلا تكفي هذه الفتوى يا شيخنا ؟!

٣ ـ الحديث النبوي الشريف «سيد الشهداء حمزة ...» يتحدث عن مواجهة العالم الامير للحاكم المسلم الجائر ، وليس للحاكم الكافر المرتد .

ومع ذلك استفتي الشيخ بسؤال لاعلم لي بجوابه الشرعي : إذا قتل الحاكم الجائر عالما واجهه بقول الحق ، أفلا يقتص من الحاكم لانه قتل نفسا بريئة بغير حق ؟!..

٤ ـ يقول الشيخ «وسؤال اخر : هل معاهدة كامب ديفيد وحدها هي التي توجب تكفير السادات ؟ أم ان كل معاهدة مع أعداء الاسلام توجب هذا التكفير لاي حاكم مسلم كان طرفا فيها » .

بصرف النظر عن الخلل في بنية السؤال ، إذ أن مراد الشيخ أن يقول : هل السادات وحده من يستحق الكفر بسبب معاهدة الكامب أم . اقول هذا بدليل الشطر الثاني من سؤاله بعد «أم»

أقول بصرف النظر عن هذا ، فانه يبدو من الشق الثاني من سؤاله انه يكفر كل حاكم مسلم كان طرفا في معاهدة مع اعداء الاسلام . مع انه لم يستدرك ليقول إلا إذا كان هذا الحاكم يشهد الشهادتين ويصلي ويصوم ، حسبما ورد من قبل في دفاعه عن «المرحوم» .. ويشير السؤال إلى ان للشيخ موقفا مسبقا ، يبحث له عن مسوغات ..

٥ ـ ينجلي الموقف اكثر حين يذكر الاستاذ جمال دور امريكا وروسيا وفرنسا وبريطانيا في اقامة الكيان اليهودي ، لكنه ـ الشيخ ـ عند الامثلة لم يضرب مثلا بدولة بينها وبين امريكا معاهدة . وكأن ملة الكفر ليست واحدة . وكأن الامريكان خير من الروس . والحقيقة انهم ـ تجاهنا ـ كما قال الشاعر .

كلهم أروغ من ثعلب
ما أشبه الليلة بالبارحه

٦ ـ لا اظن ان من حقي ان اسألك يا شيخنا . ما دمت عالما بالدين ، وتعلم ان خير الجهاد كلمة حق امام سلطان جائر ، فلم احجمت عن تسمية الدول الاسلامية التي تتوجها بالمروق وتقفز منها وتلمز بالبعض دون تحديد ؟!

٧ ـ استشهد الشيخ بالحديث النبوي الشريف : «من راى من اميره شيئا يكرهه فليصبر فانه ليس احد يفارق الجماعة شبرا فيموت إلا مات ميتة جاهلية » .. استشهد به في وجه خصوم السادات .. وهو استشهاد معكوس بدليل :

أ ـ «شيئا» ـ خاصة أنها جاءت نكرة ـ تدل على الامر البسيط ... والشيء لا يعني ـ بحال ـ إذلال الملايين وتسليم سيادة البلاد وكرامتها لليهود الغاصبين

ب ـ هذا إذا راى «احدهم» ، فكيف إذا كان من راي يعدون بالملايين ، بينهم خيرة رجال مصر ، علما وثقافة ؟!

ج ـ من الذي فارق الجماعة : السادات أم خصومه ؟ .. إلا اذا كان المقصود بـ «الجماعة» الشلة المحيطة بالمرحوم !!

ومن فارق ما يقارب مليار مسلم في العالم ، يؤمنون بأن القدس اولى القبلتين وثالث الحرمين ، ولا بد من تطهيرها من رجس الغاصبين ؟!

٨ ـ السادات ـ ومعه اجهزة تطبيله ـ سعى كل السعي ، إلى فصل مصر عن إسلامها وعن عروبتها ، ودعا إلى «الفرعونية» التي ينطبق عليها قول المصطفى صلوات الله وسلامه عليه «دعوها فانها منتنة» .. و «ليس منا من دعا الى عصبية» .. الخ ..

أفلا يكفي هذا ؟! ..

٩ ـ أقل المسلمين علما ، يعرف ويؤمن بأن الجهاد يصبح فرض عين ، إذا غصب الكفار شبرا من أرض المسلمين ، فكيف بمن لم يكتف بتعطيل الجهاد وتجاهل العدوان ، وإنما صالحهم صلحا مهينا ومذلا ، كانت نتيجته خروج احتلال اليهود ، ليحل محله احتلال صليبي !! فهل هذا يرضي الله ورسوله ؟! .. أم أنك ستقول ما قاله البعض من تشبيههم كامب ديفيد بصلح الحديبية ـ ظلما وعدوانا وتزويرا !

.. وهنا ، أكتفي بتذكير الشيخ بنصوص قرانية محكمة لا مشتبه فيها ، تبين حكم الله في موالاة غير المسلمين :

ـ «يا ايها الذين امنوا لا تتولوا قوما غضب الله عليهم قد يئسوا من الآخرة كما يئس الكفار من أصحاب القبور» ـ (الممتحنة ـ ١٣) .

قال الحسن البصري : هم اليهود ، وقال ابن عباس : هم كفار قريش وقال ابن كثير يعني اليهود والنصارى وسائر الكفار ممن غضب الله عليه ولعنه !! .

– «إنما ينهاكم الله عن الذين قاتلوكم في الدين وأخرجوكم من دياركم وظاهروا على إخراجكم أن تولوهم ومن يتولهم فأولئك هم الظالمون » – (الممتحنة – ٩) .

– الآيات الثلاث ٨٩ – ٩٠ – ٩١ من سورة النساء ، نزلت في المنافقين (وليس في الكفار من معلني الكفر) .. يقول الله – عز وجل :

«ودوا لو تكفرون كما كفروا فتكونون سواء فلا تتخذوا منهم أولياء حتى يهاجروا في سبيل الله فان تولوا فخذوهم واقتلوهم حيث وجدتموهم ولا تتخذوا منهم وليا ولا نصيرا . إلا الذين يصلون إلى قوم بينكم وبينهم ميثاق أو جاؤوكم حصرت صدورهم أن يقاتلوكم أو يقاتلوا قومهم ولو شاء الله لسلطهم عليكم فلقاتلوكم فان اعتزلوكم فلم يقاتلوكم وألقوا إليكم السلم فما جعل الله لكم عليهم سبيلا . فان لم يعتزلوكم ويلقوا إليكم السلم ويكفوا أيديهم فخذوهم واقتلوهم حيث ثقفتموهم وأولئك جعلنا لكم عليهم سلطانا مبينا » (النساء – ٨٩ ، ٩٠ ، ٩١) .

من هذه الايات البينات تتضح لمامنا النتائج التالي بيانها :

أ – مع أن هؤلاء منافقون يتظاهرون بالاسلام فان القرآن عدهم كافرين – وتلك حقيقتهم بلا ريب .

ب – لا يكتفي المسلمون من هؤلاء بالقول وبعض مظاهر السلوك ، بل لا بد من الهجرة والجهاد (انظر صفوة التفاسير للصابوني) .

ج – لا يحل للمسلمين اتخاذ ولي أو نصير من هؤلاء ، ولو بذلوا هم للمسلمين كل ولاية ونصرة !!

د – استثنى من قتل من لم يهاجر منهم في سبيل الله ، استثنى اتباع قوم بينهم وبين المسلمين معاهدة ، ومن جاء منهم (لانذهب نحن إليه) وهو ضعيف ، يجبن عن أن يقاتلنا وعن أن يقاتل قومه أيضا ، وألقى إلينا السلم !!

– «يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى أولياء بعضهم أولياء بعض ومن يتولهم منكم فانه منهم إن الله لا يهدي القوم الظالمين» (المائدة – ٥١) .. كل هذه النصوص الجلية الواضحة ، ألا تكفي لتكفير من يتولى اليهود والصليبيين ، ويلقي هو إليهم بالسلم المذل ، وقد غصبوا ديارنا ، وانتهكوا حرماتنا ؟! .

١١ – في العدد الخامس والعشرين من مجلة المسلمون الصادر بتاريخ ١٤٠٢/٦/٢٢هـ الموافق ١٩٨٢/٤/١٦م يقول الشيخ احمد محمد جمال «مفتي» المجلة في معرض إجابته على سؤال حول الحاكم المسلم . «ويشترط في الامام أو الحاكم المسلم أن يكون فقيها في شؤون دينه وخبيرا في تدبير أمور الدولة إداريا وعسكريا وقادرا على حماية الأمة من العدوان ، وعلى إقامة الحدود الشرعية على المخالفين » .

فهلا طبقت هذه الشروط على السادات لندرك إن كان المذكور حاكما مسلما أم لا !!!

١٢ – هناك نقطة جوهرية تجاهلها الشيخ في جميع مقالاته التي دافع بها عن «المرحوم» .. ألا وهي ان القائلين بتكفير السادات ، إنما اعتمدوا على رفضه تحكيم الشريعة الاسلامية في شؤون الحياة في مصر .

فمن يكون الكافر – في رأي الشيخ – المطالب – بكسر اللام – باقامة شرع الله ، أم معطله الذي يرى ان النظام الغربي الفاسد – مع تشويهه – خير من تحكيم الاسلام – والعياذ بالله – ؟!!

إلا أن الشيخ تجاهل – كما أسلفنا – هذه النقطة ، التي هي مدار البحث ، ومنطلق تكفير السادات لدى من قال بتكفيره .. وإنه مما يزيد المرء دهشة – بعد كل ذلك – أن يقرأ بحثا تحت عنوان «تطبيق الشريعة الاسلامية واجب في كل زمان ومكان » ، شارك به الشيخ أحمد محمد جمال ، في مؤتمر الفقه الاسلامي ، الذي عقدته جامعة الامام محمد بن سعود الاسلامية ، عام ١٣٩٦ هـ ، وقد نشر بحث الشيخ ضمن كتاب «وجوب تطبيق الشريعة الاسلامية والشبهات التي تثار حول تطبيقها» الذي طبعته الجامعة المذكورة عام ١٤٠١هـ/١٩٨١م .. يستغرق البحث الصفحات من ٣١٧ الى نهاية الصفحة ٣٣٠ . وكل ما سيأتي ذكره من نصوص ، إنما أنقلها عن البحث المشار إليه ، لاقارن بين موقف الشيخ هناك ، وبين موقفه من تكفير السادات ..

ينعي الشيخ في مستهل بحثه ، على بعض العلماء المسلمين ، مداهنتهم لزعماء دولهم ، بتبرير «إهمال» الحكم بشريعة الاسلام بين رعاياهم ..

ثم يعرض لتفسير الامام الطبري لهذه الايات ، حيث رجح الطبري انها – أي هذه الايات – خبر عن اهل الكتاب .. ويقول الشيخ نحن نجل الامام الطبري ونعرف له مكانته في تفسير القرآن الكريم ، ولكنا مع ذلك نرى انه بتفسيره هذه الايات كما فسرها ، إنما اراد أن يتهرب من مسؤولية تقرير حكم حاسم في مفهومه الصريح .. ويضيف الشيخ جمال ما مفاده أن الطبري روى من آراء الصحابة والتابعين «ما يدل ، دلالة واضحة على أن وصف القرآن لاهل الكتاب بالكفر والظلم والفسوق كان حكما عليهم لاقترافهم إبدال عقوبة وضعية بعقوبة سماوية قررتها التوراة وصدقها الانجيل إزاء القتلة والزناة ، مع علمهم بحكم الله واتفاقهم على التحريف والتبديل ، كما يفعل اليوم فقهاء القانون الحديث في بعض الدول الاسلامية بل معظمها من إلغاء الحدود الشرعية – كحد السرقة والزنا والقتل العمد بدعوى قسوتها ووحشيتها وعدم ملاءمتها لحضارة القرن العشرين – بزعمهم . وعلى ذلك نرى – ومازال الحديث للشيخ كما جاء بالحرف الواحد – انه لا يلزم للحكم بالكفر على من لم يحكم بما أنزل الله ان يكون جاحدا للشرائع الالهية ، فاليهود فيما مضى – وقد نزلت فيهم الاية – وفقهاء القانون الحديث من المسلمين لم يجحدوها ولكنهم استفظعوها ويتابع الشيخ حديثه القيم «ثم ألم يخبرنا القرآن بأن الله لعن اليهود لانهم نهوا عن الربا فأكلوه وكلفوا بالتناصح أمرا بالمعروف ونهيا عن المنكر فلم يفعلوه » .

عجبي ، فما الذي تغير منذ عام ١٣٩٦ حتى ١٤٠١ – ١٤٠٢هـ ، لتتبدل شروط تكفير الناس ، فيصبح اليوم من لم يحكم بما أنزل الله ، وتصالح مع غاصبي ديار المسلمين ، وإذل رقاب شعبه ونكل بشرفائه ، لموالاة اليهود وأمريكا الصليبية .

يصبح مؤمنا وقتلته كفرة من ثم يأتي الشيخ بعدة ايات قرآنية كريمة ، قطعية الدلالة في نفي الايمان عمن لا يقبل بشريعة الله حكما ، من ذلك قول الله – عز وجل – «فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجا مما قضيت ويسلموا تسليما» .. كما يورد الاستاذ جمال حديث عدي بن حاتم الطائي الذي قال فيه : «أتيت النبي صلى الله عليه وسلم وفي عنقي صليب من ذهب فقال ما هذا يا عدي ؟ اطرح عنك هذا الوثن .. وسمعته يقول «اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابا من دون الله» فقلت : يا رسول الله ، ما كنا نعبدهم ، فقال : «ألم يكونوا يحرمون عليكم ما أحل الله فتحرمونه ، ويحلون لكم ما حرم الله فتحلونه ؟ قلت : بلى . قال : فتلك عبادتهم » .

ولننظر في النص التالي بدقة وروية حيث يقول الشيخ : «وفي قوله عز وجل : (أم لهم شركاء شرعوا لهم من الدين ما لم يأذن به الله) نذير بأن من اطاع غير الله فيما شرع مخالفا لشرع الله يكون مشركا مع الله غيره» !!

إني أبرىء الاسلام من هذه التناقضات . إن ما قلته يا أستاذ احمد في بحثك عن وجوب تطبيق الشريعة ، هو الحق ، وأما ما دافعت به عن هذا الظالم فشيء اخر .

ولنعد الى بحث الشيخ إذ يقول ما نصه «ويروى ابن كثير في تفسيره أن الاية : (فان تنازعتم في شيء فردوه إلى الله والرسول إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الاخر ، ذلك خير وأحسن تأويلا) تدل على أن من لم يتحاكم في محل النزاع الى الكتاب والسنة ولا يرجع إليهما فليس مؤمنا بالله ولا باليوم الاخر» !! .. ونحن نستميح الشيخ عذرا في أن نسأله : هل رضي «المرحوم» في حل أي نزاع داخل مصر أو مع المسلمين في البلاد العربية وسواها ، أن يحتكم إلى الكتاب والسنة ؟ وهل كاتب ديفيد توافق الكتاب والسنة أم أن العكس هو الصحيح ؟ ولا يحسبن واهم أني بما نقلته عن الشيخ من رأي ابن كثير ، قد قولت الشيخ ما لم يقل .. فالسكوت في معرض البيان بيان .. علما بأن الشيخ نفسه يقول بعد سطور : «قلت : وفي قوله تعالى : (ويقولون آمنا بالله وبالرسول واطعنا .. ثم يتولى فريق منهم من بعد ذلك وما أولئك بالمؤمنين) تأكيد لنفي الايمان عمن لا يحتكم إلى الشريعة الاسلامية ..» .

ثم يذكر عقيدة التوحيد «التي يلتزم بها المسلمون في ايمانهم بالله وعبادتهم له ، يشمل توحيده – عز وجل – ايضا تحكيم شريعته وحدها – دون غيرها من الشرائع والقوانين البشرية» .. اين غابت اراء الشيخ السديدة هذه ، عنه حين عمد إلى الدفاع عن الظالمين ؟! ..

اخيرا ، يختم الشيخ بحثه القيم عن وجوب تطبيق الشريعة الاسلامية في كل زمان ومكان ، بالفقرة التالية : «وإذا كان القرآن يقول لاهل الكتاب من يهود ونصارى : (قل يا أهل الكتاب لستم على شيء حتى تقيموا التوراة والانجيل وما أنزل إليكم من ربكم) أي القرآن ، فنحن أولى بالقرآن منهم ، ولسنا على شيء إذا لم نحكم به » !!

انني أدعو الله أن يعيد الشيخ إلى فكره المجلي – كما في بحثه عن تطبيق الشريعة ، وأسأل المولى الكريم أن يغفر لي وله وللمسلمين ، وأن يقينا عثرات الفعل ، وزلات القول إنه سميع مجيب .